# مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

# Orthodox Archdiocese of Beirut



**العدد ٢٢/٢٠٠٥**

**الأحد ٢٩ أيار**

**أحد السامرية**

**تذكار القديسة الشهيدة ثاودوسية**

**اللحن الرابع**

**إنجيل السَحَر السابع**


## الرسالة

(أعمال ١١:١٩–٣٠)

في تلك الأيام لمَّا تبدَّد الرسلُ من أجل الضيق الذي حصلَ بسبب استفانُس اجتازوا إلى فينيقية وقبرسَ وإنطاكية وهم لا يكلّمون أحداً بالكلمة إلاَّ اليهودَ فقط. ولكنَّ قوماً كانوا قُبرسيين وقَيْروانيين. فهؤلاء لمَّا دخلوا إنطاكيةَ أخذوا يُكلّمون اليونانيين مُبشِّرينَ بالربِّ يسوع. وكانت يدُ الربِّ معهم. فآمنَ عددٌ كثيرٌ ورجعوا إلى الرب. فبلغَ خبرُ ذلك إلى آذانِ الكنيسةِ التي بأورشليمَ فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى إنطاكية. فلمَّا أقبلَ ورأى نعمةَ اللهِ فرِحَ ووعظهم كلَّهم بأن يثبُتوا في الربِ بعزيمةِ القلب. لأنَّهُ كانَ رجلاً صالحاً ممتلئاً من الروح القدسِ والإيمان. وانضمَّ إلى الربِّ جمعٌ كثيرٌ. ثمَّ خرجَ برنابا إلى طرسوسَ في طلبِ شاول. ولمَّا وجدهُ أتى بهِ إلى إنطاكية. وتردَّدا معاً سنةً كاملةً في هذه الكنيسة وعلَّما جمعاً كثيراً ودُعيَ التلاميذُ مسيحيين في إنطاكيةَ أولاً. وفي تلكَ الأيامِ انحدر من أورشليمَ أنبياءُ إلى إنطاكية. فقامَ واحدٌ منهم اسمه أغابوس

## تضامن المؤمنين

«فحتمَ التلاميذُ بحسبِ ما يَتيسَّرُ لكلِّ واحدٍ منهم أن يُرسلوا خِدمةً إلى الإخوةِ الساكنينَ في أورشليم...». تحكي هذه الآية، التي يُختَم بها نص أعمال الرسل لهذا اليوم، لا خبراً عابراً بل حالة كانت عليها الكنيسة منذ أوائل الأيام. وإذا عدنا في السِفر ذاته قليلاً إلى الوراء نرى أن «جميعَ الذينَ آمنوا كانوا معاً، وكان عِندهم كلُّ شيءٍ مشتركاً... وكانوا كُلَّ يومٍ يواظبون في الهيكل بنفس واحدة» (٢: ٤٤–٤٦). وثمة أمثلة كثيرة أخرى، في سفر أعمال الرسل وفي أخبار الشهداء الأوائل، تحكي اتحاد المؤمنين كواحد أمام الرب.

هذا النَفَس التضامني المستحوذ على قلوب المؤمنين يسترعي الانتباه بلا شك، لا سيما وأنه تجاوز طابع التراصف المجتمعي الذي تعرفه أية جماعة أخرى ولو لم يكن الله في وسطها. وإلا كان مجرد تناصر بين أصحاب الفكر الواحد، يعيشه في ما بينهم حتى المبتدعون. ما يأتي به إلينا النص المقدس هو في الحقيقة «درس تطبيقي»، إذا جاز التعبير، لبعض من جوهر المسيحية التي ما كانت في وقت من الأوقات حركة إصلاح مجتمعي أو ما شابه. المؤمنون الأوائل، والذين عليهم رست دعائم الكنيسة، فهموا وأيقنوا أن المبتغى الأول بل الأسمى هو ملكوت الله. «لكن اطلبوا أولاً ملكوتَ اللهِ وبرَّه» يقول السيد الرب (متى ٦:٣٣). ولما بحثوا في كلام الرب عن السبل إلى ملكوت الله وجدوه في إثنتين: أن يحب الإنسان الله من كل كيانه، وأن يحب قريبه – ومفهوم القريب في الإنجيل واسع الشمول – تماماً كنفسه أي أن يصبح وإياه واحداً (لو ١٠:٢٧–٢٨).

لقد فهم المؤمنون على مدى العصور أنهم مولودون بمعمودية واحدة، مغسولون بدم إلهي واحد، ويحييهم الحمل الذبيح الأوحد. فالصلة التي يترابط بها أبناء الكنيسة إذاً هي أوثق بما لا يقاس من أية صلة أخرى، عائلية كانت أو قومية أو فكرية. فإذا كان أبناء العائلة الواحدة أو الفكر الواحد يتراصّون، ماذا تكون إذاً حال الذين تجمعهم تلك الصلة التي لا تتزعزع؟ نقول أكثر من هذا. طالما أن المسيحية هي مصباح «النور الحقيقي الذي يُنير كلَّ إنسانٍ» (يو ١:٩) يجد المسيحي نفسه، متى اتقد بالإيمان، مشدوداً إلى الإنسان

فأنبأ بالروحِ أن ستكونَ مجاعةٌ عظيمةٌ على جميعِ المسكونة. وقد وقعَ ذلكَ في أيامِ كلوديوسَ قيصر* فحتمَ التلاميذُ بحسبِ ما يتيسَّرُ لكلِّ واحدٍ منهم أن يُرسلوا خدمةً إلى الإخوةِ الساكنينَ في أورشليم* ففعلوا ذلك وبعثوا إلى الشيوخِ على أيدي برنابا وشاول.

## الإنجيل

(يوحنا ٤: ٥–٣٩)

في ذلك الزمان أتى يسوع إلى مدينةٍ من السامرةِ يُقالُ لها سوخارُ بقربِ الضيعةِ التي أعطاها يعقوبُ ليوسفَ ابنِه* وكان هناك عينُ يعقوب. وكان يسوعُ قد تعبَ من المسير. فجلس على العين وكان نحو الساعةِ السادسة* فجاءتِ امرأةٌ من السامرةِ لتستقيَ ماءً. فقال لها يسوعُ أعطيني لأشربَ* (فإنَ تلاميذهُ كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاما)* فقالتْ لهُ المرأةُ السامريَّةُ كيف تطلبُ أنْ تشربَ مني وأنتَ يهوديٌ وأنا امرأةٌ سامريَّةٌ واليهودُ لا يخالطونَ السامريّين* أجاب يسوعُ وقال لها لو عرفتِ عطيَّةَ اللهِ ومَن الذي قال لكِ أعطيني لأشربَ لطلبتِ أنتِ منهُ فأعطاكِ ماءً حيًّا* قالت له المرأةُ يا سيِّدُ إنَّهُ ليس معكَ ما تستقي به والبئرُ عميقةٌ. فمن أين لك الماءُ الحيُّ* ألعلكَ أنت أعظمُ من أبينا يعقوبَ الذي أعطانا البئرَ ومنها شربَ هو وبنوهُ وماشيتهُ* أجاب يسوعُ وقال لها كلُّ من يشربُ من

كإنسان، فقط لأنه غاية فداء الرب وخلاصه. من يحب الله يحب الذين أحبهم الله، والمحبة في المفهوم الإلهي التزام حتى منتهى البذل. لعل هذا ما حدا بالقديس الرسول بولس إلى التشديد، في مواضع عدة، على أن من أخطأ إلى أخ فإلى المسيح نفسه قد أخطأ. تعليم القديس بولس مطبوع بتحسس الآخر بل واعتناقه. «مَن يَضعفُ وأنا لا أضعُفُ. مَنْ يَعثُرُ وأنا لا ألتهبُ» يقول القديس (٢ كور ٢٩:١١).

مسيحيو سفر الأعمال كان كل شيء بينهم مشتركاً، وهذه الـ «كل شيء» تشمل المقتنيات المادية ولا تقف عندها. هؤلاء الذين كانوا المثال التطبيقي الأول لرسالة المسيح تشاركوا في خيرات الدنيا، ولكنّهم أيضاً كانوا أمام الله «بنفس واحدة» وهنا الأهم. ذلك أن التصدق بالمال ليس بالضرورة وليد المحبة، لكن الإيمان بشمولية الدم الإلهي وفاعليته الرابطة يولّد حتماً المحبة. للإيضاح نقول مثلاً إن من كان غير ميسور ولا قدرة له على التصدق، إن كان مؤمناً، لا يعتبر نفسه في حلٍّ من الآخر. المسيحي المؤمن يعتنق الآخر، يتماهى معه أياً كان هذا الآخر، يتألم لألمه ويلتهب متى رآه متعثراً على ما اقتبسناه من رسول الأمم في مطلع هذه الفقرة. التضامن في المفهوم المسيحي ليس حركة دائرية مغلقة بين أبناء الكنيسة وحسب، بل اندفاع طبيعي يحرّكهم باتجاه الآخر في كل حين. إنه حالة مستمدة من شمولية فداء المسيح.

على ضوء ما تقدّم، يكون التضامن في المفهوم المسيحي شأناً إيمانياً لا مسلكاً اجتماعياً «إنسانياً» وحسب. «احملوا بعضُكم أثقالَ بعضٍ وهكذا تمِّموا ناموسَ المسيح» (غلا ٦: ٢). من يتأمل هذه الآية في عمقها يرتعد. من ليس في قلبه اندفاع إلى مشاركة الآخر أثقاله هو في غربة عن المسيح، وانتماؤه الصوَري إلى المسيحية هو في الحقيقة كُفر بناموس الرب الباذل نفسه حباً إلى الأبد.

## الصلاة الربانية

+ **«ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير»:** قد يسأل البعض «وهل الله هو الذي يجرِّب المؤمنين لكي نطلب منه أن لا يُدخلنا في التجربة»؟ طبعاً لا، فالله الذي هو مصدر كل خير، كيف يمكنه أن يفعل أي شر لكي يسقط الإنسان في الخطيئة؟ إذا كانت التجربة مرتبطة بالشر والخطيئة، فالله غير مجرِّب بالشرور. يقول الرسول يعقوب في رسالته: «لا يَقُلْ أحدٌ إذا جُرِّبَ إنّي أُجرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللهِ. لأنَّ اللهَ غيرُ مُجرَّبٍ بالشرورِ وهو لا يُجرِّبُ أحداً. ولكنَّ كُلَّ واحدٍ يُجرَّبُ إذا انجذَبَ وانخدَعَ مِنْ شهوتِهِ. ثمَّ الشهوةُ إذا حبِلَتْ تلِدُ خطيئةً والخطيئةُ إذا كمُلت تُنتِجُ موتاً» (يعقوب ١: ١٣–١٥).

إذاً، «لا تدخلنا في تجربة» لا يقصد بها ان الله هو مصدر التجربة، لكنها تعني الطلب من الله أن لا يسمح بأن نتوجد في مواقف تقودنا إلى الخطيئة. نضع أنفسنا بين يدي الله لكي يحمينا من التجارب الشريرة التي يقوم بها الشيطان، الشرير، الذي يريد أن يبعدنا عن الله. الشيطان متربص بكل مؤمن لكي يوقع به، فينصب له مختلف المكائد لكي يسقط في الشر ويموت روحياً ويفقد الملكوت. «فإنَّ مُصارَعَتنا ليستْ مع دم ولحم بل مع الرؤساءِ معَ السلاطين معَ وُلاةِ العالَمِ على ظُلمةِ هذا الدهرِ مع أجنادِ الشَّرِّ الروحيةِ في السماويَّاتِ» (أف ٦: ١٢).

نسأل الله أن يكون درعاً حصيناً يحمينا من هجمات الشرير. لذا نسأله مباشرة: «لكن نجنا من الشرير».

هذا الماءِ يعطش أيضاً. وأمَّا مَن يشرب مِنَ الماءِ الذي أنا أُعطيه له فلن يعطشَ إلى الأبد* بل الماءُ الذي أُعطيهِ لهُ يصيرُ فيه ينبوعَ ماءٍ ينبعُ إلى حياةٍ أبديَّة* فقالت له المرأةُ يا سيّدُ أعطني هذا الماء لكي لا أعطشَ ولا أجيءَ إلى ههنا لأستقي* فقال لها يسوعُ اذهبي وادْعي رَجُلَكِ وهلمّي إلى ههنا* أجابتِ المرأةُ وقالت إنَّهُ لا رجلَ لي. فقالَ لها يسوعُ قد أحسنتِ بِقولِكِ إنَّهُ لا رجلَ لي* فإنَّهُ كان لكِ خمسةُ رجالٍ والذي معكِ الآنَ ليس رجلَكِ. هذا قلتِهِ بالصِدق* قالت لهُ المرأةُ يا سيّدُ أرى أنَّك نبيٌّ* آباؤنا سجدوا في هذا الجبلِ. وأنتم تقولون إن المكانَ الذي ينبغي أن يُسجد فيهِ هو في أورشليم* قال لها يسوعُ يا امرأةُ صدِّقيني إنها تأتي ساعةٌ لا في هذا الجبلِ ولا في أورشليمَ تسجدون فيها للآبِ* أنتم تسجدون لما لا تعلمون ونحن نسجدُ لما نعلَم. لأنَّ الخلاصَ هو مِنَ اليهود* ولكنْ تأتي ساعةٌ وهي الآن حاضرةٌ إذ الساجدون الحقيقيُّون يسجدون للآبِ بالروحِ والحقِّ. لأنَّ الآبَ إنما يطلبُ الساجدين له مثلَ هؤلاءِ* اللهُ روحٌ. والذينَ يسجدون له فبالروح والحقِّ ينبغي أن يسجدوا* قالت له المرأةُ قد علِمتُ أنَّ مسيَّا الذي يُقال له المسيح يأتي.فمتى جاء ذاك فهو يُخبرنا بكلِّ شيءٍ* فقال لها يسوعُ أنا المتكلِّمُ معكَ هو* وعند ذلك جاءِ تلاميذه فتعجَّبوا أنَّهُ يتكلَّمُ مع امرأةٍ. ولكنْ لم يقلْ

يجب أن نسهر ونتيقظ من هجمات الشرير والرب يعيننا وإذا لم يُعِنّا هو فلن نستطيع الإفلات من حبائلِ الشيطان: «اصحوا واسهروا لأنَّ إبليسَ خَصمَكُم كأسدٍ زائر يجولُ ملتمساً مَنْ يبتلِعُهُ هو. فقاوِموهُ راسخينَ في الإيمانِ عالمِينَ أنَّ نفسَ هذه الآلامِ تُجرى على إخوتكمُ الذينَ في العالمِ. وإلهُ كلِّ نعمةٍ الذي دعانا إلى مجدهِ الأبديِّ في المسيحِ يسوعَ بعدما تألمتم يسيراً هو يُكمِّلُكم ويُثبِّتكم ويُقوِّيكم ويمكنكم» (١بط ٥: ٨-١٠).

التجربة هي أن يغري الشيطان الإنسان بأمر ما ويقوده إلى الهلاك. قد يُصوِّر لنا الشيطان أبشع الأمور في أجمل القوالب لكي يغرينا. ألم يحذرنا الرب من الأنبياء الكذبة، الذين هم ألعوبة في يدي الشيطان، «الذينَ يأتونكم بثيابِ الحُملانِ ولكنَّهم من داخل ذئابٌ خاطفةٌ» (متى ٧:١٥)؟ المهم أن نمر في الإمتحان ولا نسقط. أن نعرف أن نميِّز بين طريق الله والحياة وطريق الشيطان والموت. في الصلاة الربانية نسأل الله أن لا يسمح بأن نقع بين يدي الشيطان وتجاربه لئلا تعثر رجلنا ونسقط في الهاوية. نسأله بالرب يسوع الذي انتصر على الشيطان وهو معلّق على الصليب أن يحمينا، لأنه به وحده «لنا... قدوماً في روح واحدٍ إلى الآبِ» (أف ٢: ١٨).

السؤالُ البديهي الذي يطرح نفسه هو: إذا كان الله لا يريد إلا خير الإنسان ويشاء خلاصه، لماذا يسمح في بعض الأحيان أن يُجرِّب ويُمتَحَن هذا الإنسان؟ حسب خبرة الكتاب المقدس الإمتحان هو طريقة تأديبية يسمح بها الله ويمرّر الإنسان فيها لينقّيه كما يُنقى الذهب والفضة في النار. الإمتحان فرصة تساعد الإنسان، لا الله، على أن يكتشف إيمانه الشخصي وثباته وموقعه، وتقوده إلى أن يحيا لله وحده. الله يسمح بالإمتحان، لكي يهز كياننا ويكسر كبرياء نفسنا الذي يعمينا عن طريق الله. هكذا فإن التجربة بالمفهوم الروحي هي لخير الإنسان المؤمن لكي يعود إلى الأحضان الأبوية. لنتذكر الإبن الشاطر وتجربة العيش مع الخنازير والحياة المزرية. لولا ان الله سمح بهذه التجربة لما عاد إلى نفسه ووعى الوضع المزري الذي هو فيه. الحقيقة اننا قساة الرقاب ونحتاج إلى ما يليّن رقابنا.

الله قد يسمح في بعض الأحيان أن يُجرِّب الأبرار، كما حصل مع أيوب في العهد القديم، وذلك لكي يُعلِم من هم حوله ويقودهم إلى الإيمان الوطيد. من خلال تجارب أيوب الذي «لم ينسِبْ للهِ جِهالةً» (أيوب ١:٢٢) و«لم يُخطئ بشفتيهِ» (أيوب ٢:١٠)، علَّم الله امرأته ومن كان معه يحاوره بأن من يبقى متكلاً على الله سوف ينال خيرات في أواخر أيامه أكثر من أوائل حياته. هذا الكلام يقودنا إلى البعد الأخروي الملكوتي للصلاة الربانية. إذ ان صلاتنا هي أن ينجينا الله من التجربة الأخيرة التي سوف يحاول بها الشيطان أن يبعدنا عن الملكوت.

أمر آخر نعيد التذكير به وهو ان كل إنسان معرَّض للتجربة. فلا يظن مَنْ تقدّم قليلاً في الحياة الروحية انه ارتاح من تجارب الشيطان. كلما اقترب الإنسان من الله كلما قويت التجارب. ألم يجرّب الشيطان الرب يسوع (متى ٤)؟ المهم أن نعي اننا لن ننجو من التجارب إلا إذا وضعنا أنفسنا تحت جناحي الله. لنقرأ جيداً الإنجيل المقدس، فإن الرب يسوع عندما جرَّبه الشيطان لم يستعمل كلماته هو للرد عليه بل استعمل كلمات الله أبيه الواردة في الكتاب المقدس في العهد القديم «وقالَ

أحدٌ ماذا تطلبُ أو لماذا تتكلَّم معها* فتركتِ المرأةُ جرَّتها ومضتْ إلى المدينة وقالت للناس* تعالوا انظروا إنساناً قال لي كلَّ ما فعلتُ* ألعلَّ هذا هو المسيح* فخرجوا من المدينةِ وأقبلوا نحوه*وفي أثناءِ ذلكَ سألَهُ تلاميذهُ قائلينَ يا معلِّمُ كُلْ* فقال لهم إنَّ لي طعاماً لآكُلَ لستم تعرفونه أنتم* فقال التلاميذُ فيما بينهم ألعلَّ أحداً جاءهُ بما يأكلُ* فقال لهم يسوعُ إنَّ طعامي أنْ أعملَ مشيئةَ الذي أرسلني وأتمِّمَ عملهُ* ألستم تقولون أنتم إنَّهُ يكونُ أربعةُ أشهرٍ ثمَّ يأتي الحصادُ. وها أناَ أقولُ لكم ارفعوا عيونَكم وانظروا إلى المزارع إنَّها قد ابيضت للحصاد* والذي يحصد يأخذ أُجرةً ويجمعُ ثمراً لحياةٍ أبديَّة لكي يفرحَ الزارعُ والحاصِدُ معاً* ففي هذا يَصْدُقُ القولُ إنَّ واحداً يزرعُ وآخرَ يحصِدُ* إني أرسلتكم لتحصِدوا ما لم تتعبوا أنتم فيه* فإنَّ آخرينَ تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم* فآمنَ بهِ من تلكَ المدينةِ كثيرون من السامريين من أجل كلامِ المرأةِ التي كانت تشهَدُ أنْ قد قال لي كلَّ ما فعلتُ* ولمَّا أتى إليه السامريون سألوهُ أن يُقيمَ عندهم. فمكث هناك يومين* فآمنَ جمعٌ أكثرَ من أولئكَ جداً من أجل كلامهِ* وكانوا يقولون للمرأةِ لسنا من أجل كلامكِ نؤمن الآن. لأنَّا نحنُ قد سمعنا ونعلمُ أنَّ هذا هو بالحقيقة المسيحُ مخلِّصُ العالم.

(يسوع) مكتوبٌ ليسَ بالخبزِ وحدَهُ يحيا الإنسان... مكتوبٌ أيضاً لا تُجرِّبِ الربَّ إلهكَ... لأنَّهُ مكتوبٌ للربِّ إلهكَ تسجدُ وإيَّاهُ وحدهُ تعبدُ» (متى ٤: ٤-١٠). إذاً بالاتكال على الله لا نخزى ولا نخيب وننجو من أحابيل الشيطان.

## البئر

يذكر إنجيل اليوم لقاء الرب مع امرأة سامرية عند بئر يعقوب. هذه البئر موجودة في قطعة الأرض التي ابتاعها يعقوب لنفسه ونصب فيها خيمة (تك ١٩:٣٣) وأعطاها ليوسف ابنه. وهي موجودة حتى الآن وتقع جنوب شرق مدينة نابلس عند سفح جبل الطور.

كانت الآبار في الكتاب المقدس مرادفة للحياة وذلك نظراً للطبيعة الجغرافية والمناخية الجافة لأرض فلسطين. حولها كان يقطن الناس وتقام القرى، وحولها يلتقون، ومنها يستقي الناس وبمائها تروى الأراضي الزراعية. ونظراً لأهميَّة المياه بسبب الجفاف كانوا في القديم ينشدون ساعة تحفر بئر (عدد ١٧:٢١-١٨) لأنهم وجدوا «بئر ماء حي» (تك ١٩:٢٦)، وكانوا يتنازعون للسيطرة على الآبار (تك ١٥:٢٦-٣٣). وقد سُمي عدد كبير من الأماكن بإسم بئر: بئر سبع، بئر زيت، بئر اليم، بئر يعقوب، بئر لحى رؤى إلخ... بلغ عمق بعض هذه الآبار عشرين متراً وهي تتغذى من المياه الجوفية. كان هناك أيضاً آبار اصطناعية، صهاريج، وهي الآبار التي يحفرها الناس في الأرض ويجمعون فيها ماء الشتاء. ولقلة المياه في فلسطين كانت هذه الآبار والصهاريج عند الأهلين أفضل من جميع مقتنياتهم، لذا كانوا يتخاصمون عليها ويعتنون بحفرها ونظافتها والمحافظة عليها فيبنون على أفواهها أرصفة من الحجارة النظيفة ويغطّونها بحجر كبير يمنع الأوساخ عنها.

كان البئر مكان لقاء لمن يرغب بعروس صالحة (تك ٢٤: ١٦-٢٠). وقد شبّه كاتب «نشيد الأنشاد» الحبيبة بالبئر ذات المياه النقية: «أختي العروس جنَّةٌ مغلقةٌ، عينٌ مقفلةٌ، ينبوعٌ مختومٌ... ينبوعُ جنَّاتٍ، بئرُ مياهٍ حيَّةٍ وسيولٌ من لبنان» (نشيد٤:١٢-١٥).

الأنبياء رأوا في مياه الآبار الحيَّة صورة للخلاص: «هوذا اللهُ خلاصي فأطمئِنُ ولا أرتعبُ لأنَّ الله قوَّتي وترنيمتي وقد صارَ لي خلاصاً. فتَستقون مياهاً بفرح من آبار الخلاص» (اشع ١٢:٢-٣)، كما استعملوا صورة البئر الجاف للدلالة على مجازاة الله للخطأة (هو١٣: ١٥).

لقاء يسوع والسامرية عند بئر يعقوب يحمل كل المعاني المذكورة أعلاه. يثبت أولاً أهميَّة الآبار في الحياة اليومية، كما يبيِّن انه مكان التقاء الناس وهنا لقاء الله مع البشر. يعقوب وموسى وجدا زوجتيهما هناك، وفي النص الإنجيلي اليوم يسعى يسوع وراء عروس مختلفة، يسعى وراء من يعبدون «الآب بالروح والحق» (يو ٤:٢٣). هو الخلاص الذي كانت تنتظره السامرية وننتظره نحن. هو نبع الماء الحي الخلاصي الذي لا ينضب، ومن يؤمن به لن يخاف أبداً في يوم الدينونة.

**بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:**

**www.quartos.org.lb**